

من العقير

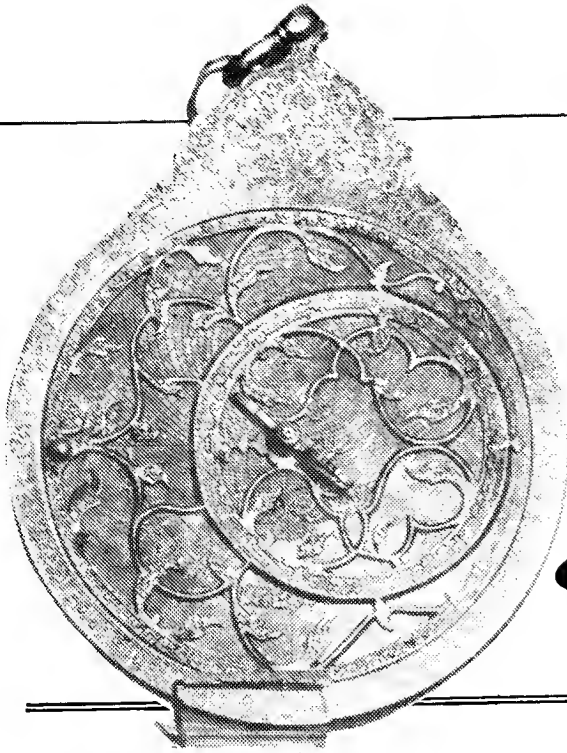
إلى خرائب

في أوائل ربيع عام ١٩٢٠ ، ونظرا لتغيب السير بيرسي كوكس عن بغداد لحضور مؤتمر السكرتيرين للمستعمرات الذي عقد في القاهرة ، تمكنت من الحصول على اجازة للقيام بسفرة مفيدة حول الخليج العربي ، كي ازور بعضا من الجزر ، واتقصى تحركات الطيور المهاجرة ، وكنت متشوقا لان اكشف واحدا من المسالك الرئيسية التي تسلكها الطيور حينما تهجر مواطنها الشتوية في افريقيا ، لتستقر حينما في اماكن تفريخها في ايران والقوقاز مارة بشبه الجزيرة العربية عبر الخليج العربي ، وهذا الذي رغبت في ان ازور الساحل العربي في مشروعى السياحي .

(للكابتن ر. ا. جيسمان)

عام ١٩٠٤ وقتل بالقرب من الحديد تاركا وراءه بعض المعلومات عام ١٩٠٩ وعزمت وانا في طريقي الى البصرة ، ان استعير الالات الضرورية التي تمكنني من وضع خريطة للمنطقة ، وكان قسم الاعمال المدنية قادرا على تجهيزي بمزواة (آلة لقياس الزوايا) ذات الست بوصات ، وقد باءت جهودنا بالفشل في العثور على ساعة جيب

وفي مساء سفرى اقترح السيد (ج . فيلبى) ، بأن يقع اختياري على شاطئ الخليج بالقرب من البحرين ، الذين يتجه جنوبا الى العقير ، والذي يلفظ محليا العجير مشكلا خليج سلوى ، وبذلك يمكنني ان ازور هذا الجزء من الخليج الذي لم يزره اوروبى قط ولم ترسم له خرائط . مع ان Burchardt قد مر بسلوى من طريق اخر



سلوى

أوتوما تيكية .

وسافرت على ظهر الباخر Nearchus إحدى البواخر الملكية الهندية البحرية ، مع ادوات وساعة أوتوما تيكية كبيرة لأحدى البواخر ، عثر عليها في دوائر النقل المائي الداخلي .

نزلت البر في البحرين في ٢٤ مارس ، واثناء التهيؤ للسفر استضافني المقيم السياسي البريطاني في البحرين الميجر (Daly) . وارسلت برقية الى حاكم الاحساء (عبدالله بن جلوى) ، ممثل سلطان نجد في الهفوف ، طالبا السماح لي بالتجول في مقاطعته مفتشا عن الآثار ، فتم لي ذلك مع توفير بعض الحرس والجمال لتتم الرحلة على طول ساحل (سلوى) .

وكان من الضروري ان استأجر قارباً شراعياً ، لكي يرافقني في سفراتي اليومية ، لكثرة ما كان معي من الات ، وكى ينتظرنا في مكان نعينه كل مساء .

وفيما يخص حاكم البحرين الشيخ

(عيسى بن علي آل خليفة) ، فقد حكم ما يقارب الاربعة والخمسين عاماً ، وخلال وجوده على رأس المشيخة ، ونظراً لمتاعب الشيخ طيلة حكمه هذا ، فقد تنازل عام ١٩٢٣ عن الحكم لنائبه وهو ابنه الشيخ (حمد) .

ان البحرين هي الاكبر في مجموعة الجزر في الشاطئ الجنوبي الغربي من الخليج وتأتى اهميتها التجارية من موقعها في وسط منطقة استخراج وصناعة اللؤلؤ . وفي اوائل صيف كل عام كانت تتجمع هنا ، ومن جميع القرى الساحلية والجزر في الخليج العربي ، ألوف القوارب الشراعية - ثم ينزل الغطاسون داخل المياه لجلب المحارات التي تفتح فيما بعد لاستخراج اللؤلؤ منها . وكان لتجار اللؤلؤ ممثلون في البحرين حيث ينتظر هؤلاء وصول القوارب الى البحرين ليشتروا اللؤلؤ بثمن يقل عما هو عليه في بومبي او باريس . وكانت تجارة اللؤلؤ قبل الحرب ، في معظمها ، بيد الالمان . وللبحرين تجارة مع

الهند واواسط شبه الجزيرة العربية .
وبالنظر لوضحة المياه في شاطئ البحرين ،
فان البواخر كانت ترسو بعيدا عنه بأربعة
اميال ، ثم يحمل الركاب والتجاره في قوارب
شراعية صغيرة الى الشاطئ .

اما سوق المدينة فواسع وفيه تباع
الاقمشة القطنية الهندية والانكليزية (من
مانشستر) وينتشر فيه الحائكون
والصفارون ، والمقاهى . والذين كانوا
يمارسون التجارة اغلبهم من الايرانيين
والهنود والعرب . كما يوجد فيها فرع للبنك
البريطانى ، وممثل لشركة (British India
S. S.) ، كما توجد مبشيرية امريكية مع قس
وطبيب ومستشفى وكنيسة .

كان الشيخ عيسى في قصره الشتوى في
جزيرة (المحرق) ، وعلى رصيف الجزيرة
ستة مدافع ، تستعمل فقط لاطلاق
التحيات . وكان ينتظرنى هناك فرس سوداء
وخادم . وبعد ان امتطيت الفرس ، اخترقت
السوق ، حيث كان الناس يقفون احتراماً ،
كعادتهم عندما يشاهدون الزى الرسمى
لخدم الشيخ . وبعد ان استقبلنى الجميع
بكلمة (السلام عليكم) ، استقبلنى الشيخ
بملابسه البهية وسيفه المطعم بالفضة ،
وشربت بمعيته ، القهوة والشراب الممزوج
بماء الورد ، فيما كان الدخان يتصاعد من
خشب الصندل علامة على الترحيب
والفرح .

هناك ثلاث صفات طبيعية ذات فائدة في
البحرين . ينابيع الماء العذبة ، والتلال
القديمة ، وتل بركانى يدعى جبل الدخان
Dukhan اما مياه الينابيع العذبة فيعتقد
بانها تنحدر من مرتفعات شبه جزيرة
العرب ، ونظرا لقلّة الامطار الساقطة وعدم
كفايتها لرى البساتين والحدائق . فان

الزراعة هنا تعتمد اساسا على تلك الينابيع .
وتمتد بعض اشجار النخيل على الشاطئ
الشمالى ، مع بساتين الرمان والبرتقال ،
زيادة على الطرفاء والتمر هندى الذى ينمو
مع اللوز الهندى ، والزراعة هنا تعتبر
كهواية من قبل الاثرياء ، اكثر مما هي
صناعة .

ان الاسماك الصغيرة - لكثرتها - تجفف
في الشمس ، وتستعمل كغذاء جيد للماشية
التي تدربنا وزبدا ممتازين .
والتلال التى تمتد لبضعة اميال ، ذات
اشكال مخروطية ، صغيرة ومتباعدة
بعضها عن البعض الاخر ببضعة اقدام ،
ويتجاوز عددها مئات الالوف . اما التلال
الكبيرة فقليلة العدد ، وتحتوى على بنايات
صخرية لاشكال بدائية .

وقد قام المستر F.B.Prideaux المقيم
السياسى السابق ، بتسجيل بعض
الملاحظات والمشاهدات ، فوجد بعض
الهاكل البشرية والانية الخزفية في قسم
منها ، ويعتقد ان اصلها (فينيقى) حسبما
يعتقده معظم علماء العاديات .

ان جبل الدخان ، الذى يبعد (١٦) ميلا
جنوبي ميناء البحرين ، يعتبر كعلامة جيدة
لارشاد السفن في البحر . وترتفع قمته نحو
(٤٤٠) قدما ، ويتكون معظمه من صخور
بركانية ، ولا شئ يجلب الانتباه فيه ، عدا
طير (ابوبليق) وكهف يأوى اليه القراصنة ،
كما ان الممر المؤدى اليه منخفض جدا ،
ويمكن ان يجتاز بالزحف نحو عشرين
ياردة ، مؤديا الى غرفتين دائريتين ، علوكل
منهما تسعة اقدام وبعرض ستة اقدام .

في ٢٨ مارس جاء الينا عبدالعزیز
القصيبي ، مالك السفينة المحلية والتاجر
صاحب السفينة (احمد) وأعلمنا ان كل

شيء أصبح جاهزا للبدء بالرحلة .

كانت السفينة محملة بالقمح ، وبعض الركاب متوجهين الى اواسط الجزيرة العربية وبعد وصولهم الى العقير ، ستكون السفينة وبحارتها في خدمتي ، لنتابع الرحلة . وقد ظهر لي بان احمد كان قد سافر في جهة (سلوى) منذ عشر سنين خلت ووصفها كبحر ليس فيه ملجأ للسفن من الرياح العاتية ، وقال بانه قد سمع بخرائب (سلوى) التي لم تكن كثيرة ، وتزورها دائما القبائل البدوية ، وان الماء العذب مشكوك في وجوده ، ويجب علينا ان نتزود به .

وفي الساعة السادسة من صباح اليوم التالي ، كنا لانزال داخل ميناء العقير ، وبعد بثلاثة اميال عن الرصيف . وقد سجل المحرار درجة (٦٣) ، وكانت الرطوبة عالية بحيث ان كل شيء كان مبللا . وبعد فترة وصل امير العقير ، عبدالرحمن ، الذي كان متقلدا سيفا عربيا طويلا ، يصحبه بعض الحراس المسلحين . وبعد ان احتسبنا القهوة في غرفته ، اخبرني بأنه كان يتوقع مجيء الجمال من حاكم (الحسا) هذا اليوم او الذي بعده ، كما اعلمني ان اقامتي في القارب تكون اكثر راحة لي من بيته . واضاف بان الطريق الى سلوى صعب جدا ويستغرق اربعة ايام ، ولا يوجد اي ماء في طريقنا .

كان الساحل مفتوحا ، مغطى بالرمل المرجاني والطفل ، مع امتدادات قليلة مسطحة ، مكونة من الصخر البركاني في ذات المستوى . وكانت الارض جدياء لا تغري بأي حياة للحيوان . وقد شاهدت طيوراً مختلفة على الشاطئ مثل Agama وبعض الحراوات والارانب الصحراوية ،

اضافة الى بعض انواع الطيور المسماة (الشادى) و (الخطاف) و (الهدهد) وقد تأكد لي من الملاحظة بان هذه الطيور المهاجرة ، تستعمل هذا الطريق عندما تضل طريق الهجرة ، لانه يشك في امر احتمالها المناخ القاسي هنا بسبب جذب الارض . وقد شاهدت ايضا بعض انواع الخلد .

وفي الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم التالي ارتفعت الحرارة الى (٧١ درجة) وقد وصلنا رسول يفيد بأن الجمال قد وصلت من الهفوف وفي مقدمتها محمد سالم جندى ابن جلوى ، يرافقه ثلاثة جنود مسلحين مع جمل لركوبي واخر لمهدى ، خادمي من بغداد .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الثلاثين من مارس ركبنا الجمال متجهين جنوبا بعد ان ودعنا الامير . كان البحر عن يسارنا وكثبان رملية تحجب النظر اذ كانت تبعد عنا بحوالى (٨٠٠) ياردة . وكان الاتجاه العام للساحل جنوبيا شرقيا بخليج دائري ، يتبعه خليج مشابه اخر وهكذا بدون علامات تميز الواحد عن الآخر . وبعد ان وصلنا الى مستعمرتنا قررت ان المح عن بعد (عقير) . ان الرأس الاول لميناء عقير كان رأس Sufaira والثاني كان مقابل جزيرة Zakhnuniya مكونا من تلال رملية تدعى رأس أم العوى Ras Umm Alawa واقمنا هناك بانتظار السفينة . وقد ظهر لي بان هناك قرية تضم (٢٠) بيتا حجرياً على الساحل الغربي ، وليس هناك اي وجود للنخل ولكن توجد بضعة جمال تتجول هنا وهناك حيث توجد حشائش قليلة جدا . وقد شاهدت نوعاً من الطيور الصغيرة السوداء ، وحصلت على بعض من بيضها من جزر الخليج العربي . وقد وصلت

فوجدناها جافة ، بينما تحتوى الاخرى على قليل من الماء العذب . لقد فكر محمد انه اذا ما تابعنا الرحلة ، بمشيئة الله ، فسوف نجد السفينة ، ولكننى قررت ان اخيم هناك ، واشعلنا النيران وصنعنا الخبز ، ومع كمية قليلة من التمر ، كان عشاؤنا ذلك اليوم . وقبل انتشار الانوار الوردية لليوم التالى ، شاهدنا قبرة صحراوية (Ammomanes) وعند اصطياها توقعنا بانها تعود الى جنس جديد ، وللأسف لم نجد غيرها . وبعد ان ارخى الليل سدوله ، اتانا رجلان يحملان قربة ماء واخبرانا بان السفينة راسية على بعد اربعة اميال ، وبعد مشى ناهز الساعتين من الصباح التالى ، وصلنا اليها ، فدلقت الى داخلها ونصبت الساعة . وكان احمد قد وصلها قبلنا لمصادفته ريحا مواتية . وكان الماء شفافا لضحاكته ، حيث كان السمك يرى بالعين المجردة متجولا فاصطاد الرجال بعضا منه . وللمرة الاولى منذ ان تركنا العقير ، وردت الجمال بالماء ، ثم تابعنا المسيرة في خلجان رملية مرجانية ، تحلق فوقنا طيور (العزيراء Pipits) و (السنونو) الى ان وصلنا الحويجل (Hawaijil) . وقد رست السفينة مبتعدة عن الشاطئ بنحوربع ميل حيث المياه العميقة ، وهذا الخليج مشهور في البحرين كملجأ للسفن من الرياح العاتية . وكانت الطرفة نامية هناك تلجأ اليها (الجبينة Agama) بألوانها الزاهية ورقبتها الأرجوانية وذيلها الاحمر ، وقد استطعت صيد اثنتين منها . وقد تذوق جماعة الجمال السمك لأول مرة ، اذ كانوا قد رفضوا اكله ، ولم يقرروا فيما اذا كان اكل السمك المقلب حلالا أم حراما . وعندما بدأ محمد حسن بتناوله ، تابعه

السفينة حسب البرنامج المقرر ورست على بعد نحوربع ميل من الشاطئ لان الماء كان ضحلا والقاع مكونا من الصخور المستوية . وفي المساء تناولت الطعام المكون من الارز والتمر واللحم والخبز غير المختمر ، مع البحارة .

وفي صباح اليوم التالى سقطت زخات مطر قليلة ، وتحولت الرياح الى الاتجاه الشمالى الشرقى . وتحركنا في الساعة السابعة والنصف صباحا وكان الجرف في تلك الليلة مقابل مكان يدعى (Hashm Husaini خشم الحصينى) ولكننا لم نصله حتى الثانى من شهر أبريل بسبب ان الجماعة لم تعرف موقعه بالضبط . وكان رأس أم العوى يرى من جهة الشمال الشرقى متصلا بجزيرة زخنونية (Zakhnuniya) والنهاية الجنوبية للجزيرة كانت اقرب الى الرأس الشمالى من (عظيم Udhaim) مع قنال ضيقة عمقها ٤,٥ قدم . واثناء الاستراحة تحدث الجندى سالم عن اكتشافه آثار اقدم لارنب ، ومن خلال تفتيشنا عن آبار المياه بالقرب من جبل ام عويده (Jabal Umm Uwaidh) ظهر سالم وهو يتأبط الأرنب ، وبعد فحصه وجد بأنه من جنس جديد وسمى بـ Lepns omanensis cheesmani من قبل المستر أولدفيلد توماس Old Field Thomas .

وبعد مسيرة رأينا تلال قطر (Qatar) للمرة الاولى ، وسرنا بقية النهار على طول الشاطئ ذى الرمال البيضاء ، متلفتين وراءنا علنا نشاهد احمد وقاربه .

وفي الرابعة والنصف توقفنا لفحص اثار معسكر قديم متوقعين وجود آبار هناك ، وفعلنا عثرنا على بئرين عمق كل منهما اثنا عشر قدما . ونزل احد الرجال الى احدهما

حالا جميع الاخوان وفي الايام التالية ، صاروا يطلبونه بالحاح ورغبة شديدة .

وفي الثانى من ابريل وصلنا الى خشم الحصينى ، حيث يرتفع نحو ١٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر وقد اخذ اسمه لشبه بين شكله وأنف الثعلب . ثم توجهنا جنوبا الى ان وصلنا الى خليج صغير سماه احمد (دوحة حمر Dohat Hamar)

وقد مررنا خلال النهار بقافلة صغيرة من البدو ، مكونة من حمار وجمالين وبضع شياة ، تسير بالاتجاه الشمالى ، متبعين طريق الحسا - قطر . وقد شاهدنا ايضا مجموعة من الطيور المهاجرة تختلف في ألوانها وانواعها .

وفي الثالث من ابريل وصلنا منطقة تبعد عن (سلوى) بمسيرة نحو ثلاث ساعات وبعد ان اجتزنا الرابية الاولى ، اشار محمد الى هدف غير واضح في الافق مدعيا بانها اشجار نخيل سلوى . وفي الجهة الغربية كانت هناك تلال عديدة اطلق عليها احمد اسما عاما هو (جبل صخول Jabal Skhul) . وفي وسط التلال يمر طريق القوافل الحسا - قطر . كما وجدت اشار ضبع بالقرب من النخيل ، وللأسف لا توجد في المنطقة اية ابار للمياه . وبما ان البروز الجنوبي للخليج ربما كان مصبا لوادى سحابة (صحابة Sahaba) ، فقد فحصت الارض بامعان املا في ان نجد اصدافا تعيش في الماء العذب او تكوينات رسوبية ولكنني وجدت اصدافا بحرية ومرجانية فقط . وكانت اشجار النخيل بالقرب من الساحل البحرى ولم اتمكن من رؤية اى مصدر للمياه العذبة هناك . وكانت الرابية الثانية على يسارنا ، وعند توجهنا الى الثالثة كانت هناك اربع ابار ، فبركت الجمال

ونصبنا الخيام . وقد قادنى محمد الى الجانب الاخر من النخيل حيث الخرائب فوجدناها اكبر مما توقعت انا في التقارير السابقة . احتوت هذه الخرائب على اسوار مستطيلة الشكل طولها (٩٥) ياردة وعرضها (٧١) ياردة ، وكانت الاسوار ذات سمك يقدر بـ (٦) اقدام ، مبنية من الصخور . ويمكن للزائر ان يستدل بسهولة على البرج والقصر الداخلى حيث علو الاسوار اربعة اقدام ، وعلو البرج اثنا عشر قدما . وكانت البئر تتوسط الساحة الكبيرة المبلطة بالصخور . كما وجدت قطعاً قليلة من الفخار والرخام وبعض الاثار التى اكتشفت على عمق ٢ - ٣ قدم ، وارسلت جميع هذه الاشياء الى الدكتور هو جارث Dr. Hogarth الذى قدم تقريراً عنها فأشار الى ان الفخار والفرغورى والزجاج تدل جميعها على وجود استيطان عربى اسلامى متأخر ، له علاقات تجارية مع الساحل الشرقى للخليج العربى . ويحتمل ان هذا الاستيطان يرجع الى العصر الكندى Kindi في نحو القرن السادس بعد الميلاد . ولكن هذا الوصف يعطى فكرة عن اماكن الماء والمدرج ولا يمكن ان يكون اكثر من ذلك .

وفي نفس الوقت جاءت جماعة من العرب مع اثني عشر جملاً الى الابار ، وكانوا راجعين من قطر بعد ان باعوا (الدهن Dihin) متجهين الى الحسا ببضاعة تجارية ايضا .

وكان اثنان منهم ينتسبان الى قبيلة عنزة Anaiza واربعة اخرين من الجنوب وقد تبادلنا الاحاديث والاخبار معهم خلال ارتشاف القهوة .

تبعد سلوى بمسيرة ثلاثة ايام بواسطة

الجمال عن قطر ، واربعة ايام عن الحسا - كانت الابار التى عمقها ستة اقدم ذات رائحة كريهة ، تنتشر الاملاح حولها ، وقد شربنا منها على مضض . لانه ليس هناك من يهتم بأمر نظافتها ، كما وجدنا طائرا بحريا ميتا في احداها ، وجثة جمل ميت بالقرب من الاخرى ، وفي اثناء ذلك سقطت زخات مطر استمرت لفترة قصيرة .

وفي الساعة السابعة مساء ، شوهد زوج من الغربان Ravens حول المخيم وعدة قبرات في المنطقة المجاورة . وبعد ان وصلنا سلوى كان الجميع يرغبون في مواصلة السفر ، لكننى كنت قد فكرت في القيام بجولة في دائرة قطرها (٥) اميال في اليوم التالى ، لاتحرى بعض الخرائب التى كانت بالقرب من التلال .

وفي الساعة الخامسة مساء من اليوم الرابع لابريل ، تجولنا (انا ومحمد) على طول ساحل البحر بالاتجاه الشرقي ، وبعد فترة قليلة نبهنى محمد الى خرائب اخرى مع الواح من الصخر يمكن القول بانها تعود الى نفس العصر . ثم تقدمنا على طول الساحل وبعد ثلاثة اميال من بدء الجولة ، اتجهنا جنوبا مارين بطريق قطر - سلوى ، وقد برز امامنا سهل رملي ابيض ، ثم استرحنا وارثشفنا القهوة . وقد اصطاد سالم في هذه الاثناء طائر الكروان الذى يدعى (ابن حبارة) وقد كان باهت اللون . ثم تركنا المنطقة متوجهين نحو الهفوف ، وغيرنا مجرى السفينة نحو قطر بعدئذ مقلعين ببعد ١,٢٥ ميل عن الشاطئ . وقد افادنى تغيير مجرى السفينة عدة مرات لاحصل على صورة واضحة للجانب الشرقي من الخليج حيث كان شاطئه واطنا تمتد على طوله تلال رملية حيث تشرف مباشرة على البحر في

الجانب الشمالى . وكان الخليج ضحلا ، حيث كان عمق الماء في بعض مناطقه لا يزيد على (٤) اقدم ، وقد قام احد الرجال بسحب السفينة الى مكان اعمق . وخلال رجوعنا امعنت النظر في مواقع التلال والرؤوس البحرية وغير ذلك من الظواهر التى مررنا بها .

وحينما كان موقعنا على جانب قطر ، في الساعة الثالثة بعد الظهر ، فوجئنا بريح شمالية ، وبما ان الساحل كان مستقيما ، فلم نستطع العثور على خليج نلجأ اليه فدعا احمد جماعته الى الصلاة متضرعين الى الله ان يسكن هذه الريح ، وبقينا على هذه الحالة قرابة اليومين حيث هدأت الريح فتابعنا الرحلة نهارا ، ثم في المساء رسونا قريبا من الشاطئ الشمالى (دوحة حويجل Dohat Huwaigil) حيث بتنا ليلتنا هناك . وفي نهار اليوم التالى كنا قد تجاوزنا جزيرة (Anaibar) بنحو ميل ، وهي عبارة عن مناطق رملية جرداء ترتفع بثمانية اقدم عن سطح البحر .

وفي السابع من ابريل كنا في دوحة حويجل ، حيث صادفنا بعد الظهر ريحا مواتية حملتنا الى نفس الطريق بين ام عويده وساحل قطر ، وكانت بعض الاسماك تسبح على وجهها ولم نتمكن من اصطيادها .

وفي الساعة الخامسة مساء ، كانت الريح تهب شرقا حيث دفعت السفينة شمالا الى وسط البحر ، حيث مررنا بجزيرة Zakhnuniya ، وكنا نأمل الوصول الى البحرين في الصباح التالى .

وفي الساعة العاشرة والنصف مساء بينما كنت اراقب مجموعة الدب الاكبر في السماء ، سمعت صراخ بعض (النوتية)

بانزال الشراع حيث تبين باننا كنا بالقرب
من رأس البحر في النقطة الجنوبية من
جزيرة البحرين . ولم نخاطر بالسفر ليلا ،
وفي صباح اليوم التالى كنا بالقرب من رأس

رملي يتدرج بالانحدار جنوبا في البحر ، ومن
حسن الحظ كانت الريح الشرقية لازالت
تهب حيث وصلنا الى مرفأ المنامة في البحرين
بعد الظهر .